

الكشاف

وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد . كان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد .
وعن كعب أنه قال لابن عباس : إني لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال : أنا
أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية . ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا
في الشروق ومنه قوله تعالى : " فأخذتهم الصيحة مشرقين " الحجر : 73 ، وقول أهل
الجاهلية : أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق . ويسبحن : في معنى ومسبحات
على الحال . فإن قلت : هل من فرق بين يسبحن ومسبحات ؟ قلت : نعم وما اختير يسبحن على
مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن
السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح . ومثله قول الأعشى : إلى ضوء نار في يفاع تحرقولو
قال : محرقة لم يكن شيئا . وقوله : " محشورة " في مقابلة : يسبحن إلا أنه لما لم يكن في
الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدث شيئا بعد شيء جاء به اسما لا فعلا .
وذلك أنه لو قيل : وسخرنا الطير يحشرن - على أن الحشر يوجد من حشرها شيئا بعد شيء
والحشر هو الله - كان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة . وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها .
وقرء : " والطير محشورة " بالرفع " كل له أبواب " كل واحد من الجبال والطير لأجل داود
أي : لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه . ووضع الأبواب موضع المسبح : إما لأنها
كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأبواب - وهو
التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته - من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه
وتقديسه . وقيل : الضمير الله أي : كل من داود والجبال والطير أبواب أي مسبح مرجع
للتسبيح " وشدنا ملكه " قويناه قال تعالى : " سنشد عضدك " القصص 35 ، وقرء : " و
شدنا " على المبالغة . قيل : كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلثم يحرسونه وقيل :
الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة : أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن
إقامة البيئة فأوحى الله تعالى إليه في المنام : أن اقتل المدعى عليه فقال : هذا منام
فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال : إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني
قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس : إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه "
الحكمة " الزبور وعلم الشرائع . وقيل : كل كلام وافق الحق فهو حكمة . الفصل : التميز
بين الشئيين . وقيل للكلام البين : فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير لأنهم قالوا : كلام
ملتبس وفي كلامه لبس . والملتبس : المختلط فليل في نقيضه : فصل أي : مفصول بعضه من بعض

فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه : أن لا يخطيء صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله : " فويل للمصلين " الماعون : 4 ، إلا موصولا بما بعده ولا " وإني أعلم وأنتم " حتى يصله بقوله : " لا تعلمون " البقرة : 232 ، ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب : الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات